المصرية) وإذا أدمجنا مع هذه العصور التأريخية عصور ما قبل التأريخ فتحصل لدينا الأدوار المميزة لتأريخ مصر القديمة منذ أقدم عصور ما قبل التأريخ على الوجه الآتي:

أولاً ـ عصور ما قبل التاريخ:

ا ـ العصور الحجرية القديمة: وادي حلفا، العباسية، السبيل.

ب ـ العصر الحجري الحديث (المتأخر) ـ «طاسة»، «الفيوم»، «مرمدة».

ج ـ العصر الحجري المعدني: «البداري»، «الأماري»، (نقادة الأولى) «الجرزي» (نقادة الثانية).

ثانياً: عصر المملكة القديمة:

أ ـ بداية السلالات (3100 ـ 2780 ق.م) السلالة الأولى والسلالة الثانية.

ب ـ عصر الأهرام (2780 ـ 2270 ق.م) (السلالات من الثالثة إلى السادسة).

ثالثاً: عصر النبلاء وأمراء الإقطاع (الفترة المظلمة الأولى) (2270 ـ 2100 ق.م)

ويشمل السلالات من السابعة إلى العاشرة.

رابعاً: عصر المملكة الوسطى (2100 ـ 1788 ق.م)

ويشمل السلالتين الحادية عشرة والثانية عشرة.

خامساً: عصر الهكسوس (الفترة المظلمة الثانية) (1788 ـ 1573 ق.م).

ويشمل السلالات الثالثة عشرة إلى السابعة عشرة.

سادساً: عصر المملكة الحديثة (عهد الأمبراطورية) (1573 ـ 1085 ق.م)

ويشمل السلالة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والسلالة العشرين.

سابعاً: عصر المملكة الأخيرة (عهد الضعف والتدهور) (1090 ـ 663 ق.م)

ويشمل السلالات الحادية والعشرين والثانية والعشرين والثالثة والعشرين والرابعة والعشرين والخامسة والعشرين.

ثامناً: فترة انتعاش (663 ـ 525 ق.م).

ويشمل السلالة السادسة والعشرين.

تاسعاً: العهد الفارسي الإخميني (525 ـ 332 ق.م)

من عهد قمبيز إلى دارا الثالث (ويشمل السلالات السابعة والعشرين إلى الواحدة والثلاثين).

عاشراً: الإغريق والعهد الهلنستي (البطالسة) (332 ـ 30 ق.م).

أحد عشر: العهد الروماني 30 ق.م. ـ 639 ب.م (الفتح العربي).

٣ ـ العصور الحجرية

العصر الحجري القديم:

تمتد بداية القصة عن حضارة وادي النيل إلى فجر الحياة البشرية في هذه الكرة الأرضية حيث بدأ استيطان الإنسان الأول في وادي النيل منذ أقدم عصور ما قبل التأريخ، أي العصور التي أطلقنا عليها اسم العصور الحجرية القديمة. فبعد تكوين نهر النيل في الدهور الجيولوجية البعيدة واتخاذه شكله الحالي في العهد الجيولوجي المسمى «بليوسين» (Pliocene) كانت الأحوال المناخية تختلف تمام الاختلاف عمّا هي عليه الآن، فقد كانت أفريقيا ومعظم

أجزاء الشرق الأدنى القاحلة الآن تتمتع بأمطار كثيرة غزيرة وكانت العصور الممطرة (Pluvial Period) تحلّ إبان العصور الجليدية في أوروبا، أما في الفترات الجليدية فكانت تحدث أزمان جفاف. وكانت حياة الحيوان والنبات مزدهرة في شمالي أفريقيا وفي منطقة الصحارى وقد وجدت آثار الإنسان الصياد هنا، وكثيراً ما كان الصيادون يترددون على النجاد المرتفعة في وادي النيل وقد وجدت آثارهم في شرفات نهر النيل. وتمثل لنا هذه الشرفات أي الشطآن (Terraces) العصور الممطرة وعصور الجفاف التي ذكرناها، إذ هي عبارة عن شطآن النيل القديمة متسلسلة من الأعلى وتقلّصت بالتدريج إلى عقيق النهر الحالي[1]، وقد درست هذه الشطآن المختلفة من الناحية الجيولوجية والأثرية فوجد للنيل ثمانية شطآن قديمة تبتدىء من مرتفعات حجارة الكلس العالية إلى عقيق النهر الحالي، هذا ولم يجد المتحرون في الشطآن الأربعة الأولى آثاراً لاستيطان الإنسان إلّا في الشاطىء الخامس (الشرفة الخامسة) وتمثل لنا هذه المرحلة بداية قصة الإنسان في وادي النيل من أول أطوار العصر الحجري القديم حيث وجدت أدوات الحجارة كالفؤوس اليدوية من الدور المعروف باسم الدور «الشيلي»[2] وقد خلف لنا الإنسان بعض عظامه وهكذا تستمر آثار الإنسان في الشواطىء التالية، حيث نجد في الشاطىء السادس أدوات الحجارة الشبيهة بأدوات الحجر من العهد الآشولي في أوروبا، وفي الشاطئين التاليين وجدت آثار من العصر الحجري القديم أحدث

---

(1) إن هذه الظاهرة قد لوحظت في جملة أنهار، وتختلف عدد الشرفات باختلاف الأنهار، وإذا كان العدد المطّرد يلزم أن يكون أربع شرفات تطابق العصور الجليدية الأربعة في أوروبا فإن لبعض الأنهار شرفات ثانوية تمثل أدواراً ممطرة ثانوية وعهود جفاف ثانوية. هذا ولم تدرس وديان الأنهار في العراق دراسة جيولوجية وافية من هذه الناحية وإذا كانت قد درست دراسة خاصة إلا أنه لم ينشر شيء عن نتائج هذه الدراسة، ولكن المشاهدات الشخصية واتصالاتي الشخصية ببعض الجيولوجيين الأجانب أوقفتني على وجود مثل هذه الشرفات في وادي دجلة والزاب الأعلى والأسفل والفرات في سوريا، ويبلغ معدل هذه الشرفات الرئيسية أربعة.

(2) انظر الجزء الأول حول الأدوار الخاصة بالعصر الحجري القديم.

عهداً شبيهة بما يُعرف في أوروبا باسم الدور «اللفالوازي» (Levalloisian) والمستيري (Mousterian) ومن بعد هذا الدور يأتي عقيق النيل الحالي[1]. ووجدت حديثاً أدوات وآلات حجرية من الصنف الثاني من العصر الحجري القديم في موضع يُسمّى «سبيل» شمال جبل سلسلة بقليل وكذلك قرب الفيوم[2]. ومما يقال عن العصور الحجرية القديمة في وادي النيل إن آثارها وأدوارها معروفة معرفة أكثر مما عليه الحال في العراق القديم، لكثرة التحريات والبحوث التي تمّت في هذا الباب. هذا وقد سبق أن قلنا إن شمالي أفريقيا وجنوبي غربي آسيا (مثل بلاد سورية وكردستان) كانت في العصور الجليدية في أوروبا تتمتع بخصب ووفرة أمطار مما جعلها مكتظة بالنبات والحيوان والإنسان، حيث وجدت آثار إنسان العصر الحجري القديم مما تضاهي الأدوات المستيرية في أوروبا، ولكنها أحسن منها صنعاً، وقد قرنت هذه الأدوات ولا سيما في مراكش[3] وأفريقيا الشمالية مع نوع من الإنسان يعود إلى نوع النياندرتال، وبالنظر لوجود أدوات العصر الحجري القديم من النصف الثاني منه في مصر وإلى شمالي أفريقيا فيستنتج من ذلك وجود نوع الإنسان الحديث أيضاً.

---

(1) لقد قام بهذا التحريات المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو (1929 ـ 1930) وكذلك قام بتحريات أخرى عن آثار العصر الحجري القديم انظر:

(1) K.S. Sandford in AJSL. LVIII (1932), 170 ff.

(2).., Palacolithic Man and the Nile Valley in Upper and Middles Egypt (Oriental Institute Publications, vol. XVIII).

(2) انظر:

Vignard, in Bullt. Inst. Franc. Caire, XXII; Huzayyin in AJA (American Journal of Archeology), LI (1947).

(3) انظر:

(1) Childe, New Light on the Most Ancient East (1952) 16 ff.

(2) Howe and movius, «A stone Age Cave Site in Tangier» Peabody Museum Papers, XXVIII, (1947).

العصر الحجري الحديث:

لقد سبق أن نوّهنا بحدوث عهد الجفاف في نهاية العصر الحجري القديم في المناطق التي كانت مأهولة بالحيوان والنبات في البوادي المجاورة للنيل، كما ذكرنا تردد صيادي العصر الحجري القديم على شطآن وادي النيل، ولما ازداد الجفاف في أفريقيا وفي وادي النيل[1] التجأت جماعات أخرى من أهل العصر الحجري القديم إلى ضفاف النيل ذات المياه الدائمة وإلى الواحات القريبة فتحفّز الإنسان في هذه الأحوال الجديدة على الانتقال من طور الصيد وجمع القوت إلى طور الفلح والزراعة وتدجين الحيوان أي انتقل إلى الطور الذي دعوناه باسم «إنتاج القوت». وكانت الأحوال مؤاتية لحدوث ذلك الانقلاب الخطير في حياة سكان وادي النيل الأقدمين، فإلى عامل تحدي الجفاف وتحفيزه الإنسان على حلّ الأزمة الراهنة، فقد كانت تنبت في حدود الوادي الأعشاب الكثيرة البرية، ولا سيما الحنطة البرية والشعير البري، يضاف إلى ذلك خصب الوادي وانتظام فيضان النيل.

لقد أسفرت التحريات الآثارية في مواطن الإنسان في هذا العهد عن اكتشاف جملة مواضع في وادي النيل تمثّل أطوار العصر الحجري الحديث مما تمثل لنا أدوار التدرج والتقدم إلى عهد الحضارة فمن هذه المواضع الممثلة لمرحلة انتقال الإنسان إلى عهد الزراعة الموضع المعروف باسم «طاسة» (أو دير طاسة) القريب من «بداري» ومن ضفة النيل الشرقية[2] حيث ثبت أن المستوطنين في هذا الموضع عرفوا زراعة الحنطة والشعير، كما وجدت حبوبهما في بيوت مستوطنهم، كما أنهم استعملوا رحى الحجر البسيطة لطحنها. هذا ولا يعلم بوجه التأكيد كيف كانوا يروون مزارعهم أمن نهر النيل أم من وديان الأنهار الصابّة فيه، كما لا يعرف أيضاً هل عرفوا تدجين الحيوان

---

(1) انظر:

S.A. Huzzain, The Place of Egypt in Prehistory, 1941.

(2) Brunton, Mostagedda, (1937), 26 ff.

بمقياس واسع، ولكن وجدت في مقارهم عظام غنم ومعز. والذي لا شك فيه أن هؤلاء الفلاحين القدامى لم تكن زراعتهم بمقياس واسع وإنما كما ذكرنا كانوا ينتجون قوتهم فقط، كما لم يوطد استقرارهم واستيطانهم كما يشير إلى ذلك تبعثر القبور. وقد بقي صيد الحيوان والسمك قوتاً أساسياً عند هؤلاء «الطاسيين». ومن عدّتهم أنهم عرفوا صنع أواني الفخار، ولكنها كانت خشنة الصنع ساذجة، وقد وجدت آثار ضئيلة من نسيج الكتان، ولكننا لا نعرف هيئة لباسهم، وقد استعملوا الخرز والمحار والصدف للزينة.

ومن المستوطنات الممثلة للعصر الحجري الحديث في وادي النيل مستوطن وجد في الفيوم[1] الممتد على طول حافة البحيرة الجافة المعروفة باسم الفيوم التي كانت تملؤها المياه فيما مضى. وقد ثبت أن أهل هذا المستوطن زرعوا الحبوب بصورة أكثر انتظاماً من أهل المستوطن الأول، وزرعوا القنّب، وكانوا يحصدون غلّتهم بمناجل مصنوعة من الصوان المسنن المثبتة بالخشب ويخزنونها في حفر في الأرض، كما استعملوا الرحى لطحن الحبوب، ودجنوا جملة حيوانات منها الخنزير والماشية والغنم والماعز، وظلّوا يمارسون صيد الحيوان والسمك، واستعملوا القوس والسهم والفؤوس الحجرية، واستمروا على صناعة أواني الفخار كما في العهد السابق، واستعملوا الخرز والصدف والمحار زينة وحلية، وقد جلبوا المحار من سواحل البحر الأحمر والبحر المتوسط.

ووجد طور ثالث من طور العصر الحجري المتأخر أطلق عليه اسم «مرمدة» في الحافة الغربية من الدلتا[2]، ويشغل هذا المستوطن طنفاً رملياً يبعد الآن كيلومترين غربي فرع رشيد ومساحته نحو (100×400 م)، وقد وجدت

---

(1) Cahoh-Thompson, The Desert Fayum (London, 1934); Childe, op. cit., p.35 ff.

(2) لقد حفرت هذا الموضع بعثة آثار نمساوية. انظر التقارير المنشورة في:
Anzeigerd. Akad. d. Wiss. Wien, Phil. -hist. (1929-1940)
المشار إليها: Childe, op. Cit., p.36.

فيه آثار أكواخ من الطين والحصر، وقد تحسن بناؤها بمرور الأزمان ولا سيما تحسّن بناء جدرانها من الطين السميك، وقد استمرّت عدة العهدين السابقين كزراعة الحبوب وطريقة حصدها بمناجل الصوان، واستمرّت نفس الحيوانات في الاستعمال وصيدها بالقوس والسهم، وتحسّنت صناعة الفخار نوعاً ما، حيث لوّنت بألوان حمر وسود، ووجدت مغازل تدلّ على الحياكة، واستمر سكان هذا الموضع على استعمال الزينة وأضافوا إليها حلية متّخذة من العاج ومن عظام ناب الخنزير. وقد وجدت القبور في داخل بيوت السكنى ولكن لم توجد في داخلها الأدوات العائدة إلى الأموات وقد فسّر ذلك بأن أشباح الموتى كان باستطاعتها التزوّد من زاد الأحياء على عكس ما إذا كانت القبور خارج بيوت السكنى. وقد وجد المنقّبون حديثاً موضعاً رابعاً يمثّل طوراً رابعاً أيضاً من العصر الحديث في وادي النيل حيث عُثر على قرية من قرى هذا العصر قرب حلوان في موضع يدعى «العوماري»[1] الذي يقع بنحو 7 كيلومترات من ضفة النيل الشرقية، ويشبه في عدّته ما وجد في «مرمدة». ومما يقال في العصر الحجري الحديث في وادي النيل إن أطواره وآثاره غير مستمرة في مصر السفلى، بخلاف ما عليه الحال في مصر الوسطى والعليا حيث الأطوار الآثارية مستمرة من الدور «الطاسي» فيما بعد، واستمرّت إلى الأطوار التي سنذكرها تحت أطوار العصر الحجري المعدني.

العصر الحجري المعدني:

لقد سبق أن ذكرنا[2] أهم خصائص هذا العهد الذي اصطلحنا على تسميته أيضاً باسم فجر الحضارة لأنه كان مقدمة تمهيدية لظهور الحضارة الناضجة، كما نوّهنا بتشابه أطواره في مراكز الحضارات القديمة، وأهم ما في

---

(1) عثر على هذا الطور في عام 1942 انظر:

Annals du service des Antiquités de l'Egypt (Cairo, 1948).

(2) انظر الميزات العامة لهذا العهد الحضاري في الفصل الثالث من الجزء الأول.